توازن القوى ومعضلة التحالفات في الشرق الأوسط

أ. عياش بوشريف، طالب باحث بـ جامعة باتنة 1
boucharif@live.fr

ملخص:

من خلال عدسة توازن القوى والتحالفات. تركز هذه المقالة على استكشاف الخيارات الإستراتيجية للقوى الإقليمية في الشرق الأوسط. فبعد الانسحاب الأمريكي. مر الإقليم بحالة فراغ استراتيجي كانت مواكبة لتغير بنيوي في المنطقة بانحسار قوى فاعلة وبروز اخرى باحثة عن ادوار إقليمية تمثلها ايران، السعودية وتركيا. أصبحت المنطقة مهيأة لمزيد من التنافس حول تقسيم مناطق النفوذ الجيوسياسي. وفي هكذا ظروف، وفق منطق توازن القوى يعتبر تشكيل التحالفات الخيار الاستراتيجي الأنسب لكبح طموح قوى التغيير أو الهيمنة، غير ان مرونة النظام باعتباره متعدد الأقطاب زاد من معضلة التحالفات. لذلك نحاول من خلال هذه الورقة الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي انعكاسات دوافع توازن القوى على سياسة التحالفات في الشرق الأوسط؟ منهجية البحث: لجأنا في مناقشته الظاهرة محّل الدراسة إلى الاستعانة بالمدخل النيو واقعي.

الكلمات المفتاحية: الشرق الأوسط، توازن القوى، توازن التهديد، التحالفات، الأزمة السورية.

Abstract:

Through the theory of balance of powers and alliances, this article deals with the strategic choices of regional powers in the Middle East. After the departure of the Americans, the region experienced a strategic vacuum that accompanied a functional change giving birth to new powers: Iran, Saudi Arabia and Turkey. Since the region is living a race to the research of the new lands of geopolitical influence. So, making alliances between states of the region is a strategic in itself, to flourish the powers that want to Reign or impose their laws, but the existence of a multipolarity in the same political system, only amplifies the dilemma of alliances. From our article, we will try to answer the following problematic: What are the influences that can cause the needs of balance of forces on the politics of alliances in the Middle East? Working method: the neorealist approach was used to treat this theme.

Keywords: Middle East, balance of forces, threat balance, alliance, Syrian crisis.

تأصيل نظري للدراسة:

تنخرط القوى العظمى في الشرق الأوسط بشكل كبير بسبب النفط، الموقع الاستراتيجي، والتحالفات إظافة إلى المصالح الاقتصادية الكبيرة. ونتيجة لذلك يحدث اختلالا في ميزان القوى الإقليمية وبالتالي تأثر سلوكيات الدول وتصرفاتها واستجاباتها وتعاطيها مع سياسات القوى العظمى في الشرق الأوسط. (Miller2004,p.239) فميزان القوى الإقليمي ليس مستقلا بل يتأثر بعدد القوى العظمى في النظام الدولي وعلى نوع تدخلها الإقليمي (تنافس، تعاون أو هيمنة). وهو يقوم على التحالفات بين الدول المحلية مع القوى العظمى، التي تؤثر على ميزان القوى المحلي عبر العمل الدبلوماسي، والمساعدات المالية، والمساعدات العسكرية .الدعم بالتكنولوجيا الذي يجعل من السهل على دول المنطقة استيعاب تكاليف تحقيق التوازن مع منافسيهم الإقليميين. ويتم ذلك عبر موازنة بعضها البعض، اذ تميل القوى المتنافسة الى زيادة المساعدة التي تقدمها إلى الحلفاء المحليين، وذلك لمنع حلفائها من الانحياز لقوة عظمى منافسة bandwagoning او تصبح هذه الاخيرة مهيمنة اقليميا (Miller2004 ,pp.240-241) وهي ميزة فترة الحرب الباردة بين القطبين، كان التوازن هو قاعدة القوى العظمى والجهات الفاعلة المحلية التي سعت للهيمنة لكنها فشلت في السيطرة على النظم الإقليمية. اما في وضع وجود قوة عظمى مهيمنة فهي تسعى لمنع ظهور منافسين انداد في المناطق البعيدة اذ تعمل الدول المهيمنة اقليميا كفارض لتوازن من وراء البحار offshore balancers في المناطق الاخرى، ورغم ذلك تفضل عادة ان تترك القوى الاقليمية تكبح الدولة الطموحة للهيمنة فيما هي تراقب من بعيد، لكن استراتيجية تمرير المسؤوليةbuck-passing الى الاخرين من هذا النوع لا تكون عملية احيانا في احتواء التهديد، لذلك تضطر الدولة المهيمنة البعيدة لان تتدخل وتفرض التوازن balancing على القوة الصاعدة (ميرشايمر2012، ص.298) لذا في النظم الإقليمية التي تعرف قوة مهيمنة، الدول المسايرة غالبا هي ممثلة للوضع الراهن statu quo، في حين القوى التعديلية ترفض السلام الإقليمي الذي تروجه القوة العظمى المهيمنة. لذا تكون السمة الغالبة للسياسات الإقليمية توجيه موازنة ضد الدول الأكثر تهديدا، وخاصة ضد القوى المجاورة التي لديها قدرات هجومية والنوايا التعديلية التي تشكل اكبر تهديد لأمنها.(Miller2004,pp242-243)

حسب waltz نظرية عامة للسياسة الدولية تنطبق ايضا على الدول الصغرى التي تتفاعل وتؤثر طالما تفاعلاتها تجري بمعزل عن تدخل القوى العظمى في النظام. لذا ينظر الى وضع النظام الحالي للشرق الاوسط، كنظام متعدد القوى، ووفقا لذلك تتنبأ نظرية توازن القوى بأنه عندما تزيد قوة كبرى مقدرات قوتها فان القوى الكبرى الاخرى تتصرف حيال هذا الامر. فتقوم اولا بالموازنة الداخلية عبر جهود داخلية لتعزيز قوتها، لكن في المقام الثاني تلجا الى التحالفات لتحسين موقع قوتها غير ان توازن القوى ليس مرتبط فقط بفكرة التحالفات المضادة للسيطرة فحسب، فهي مرتبطة ايضا بفكرة ان الدول معتادة على محاولة الحفاظ على امنها وتعزيز مصالحها من خلال تضافر الجهود فيما بينها، فإذا تحالفت مجموعة من الدول لتعزيز مصالحها المشتركة، فان فرضية توازن القوى تقتضي ضمنا ان دولا اخرى تراقب هذا التطور، وتخشى ان تكون ضحية هذا التحالف، سوف تتحد وتشكل تحالفا مضادا، وفي هذه الحالة وبدلا من تأسيس تحالف في وجه الطامح للسيطرة، سيكون هناك تحالفان متنافسان يقيمان توازن القوى.(ليتل2010، ص.13)، استنادا لهذا التحليل يرى Snyderان معضلة لعبة التحالفات تنشا اولا، اما بالانضمام او اختيار العزلة ولاحقا بمدى الالتزام بالدفاع عن الحلفاء (Snyder1984,p.461) وعكس هذه الدراسات التي اهتمت بالقيود البنيوية، مزج Walt ما بين العوامل المادية والعوامل القيمية في تبرير قيام التحالفات اذ ان الدول تنحو نحو التحالفات بسبب

ادراك الخوف اي التوازن ضد التهديد (Walt1987). فضلا عن ذلك، يعتبر Schweller التصرف الهادف الى التوازن " يدفعه قانون الطبيعة " وكنيوكلاسيكي يركز على البيئة الداخلية في اقرار التوازن وهو ما يطلق عليه غالبا توازن المصالح (ليتل2010، ص.305).غير ان عدم اليقين ممن يهدد من، ومن سيكسب او يخسر جراء تصرفات الدول الاخرى امر يتزايد مع تزايد القطبية. لذا يعتبر Mearsheimer ووولتز المرونة المرتبطة بتشكيل التحالفات مصدرا لعدم الاستقرار الذي يمكن ان يؤدي الى الحروب والازمات ويولد درجة عالية من عدم الشعور بالامن. (ليتل2010، ص. 239.ميرشايمر2012، ص. 420). اما في الحالة التي لا يوجد فيها التوازن فينبغي التوجه بالتحليل الى مستوى السياسة الخارجية لفهم استجابات الدول في السياسة الدولية. (ليتل 2010، ص.307).

توازن القوى في الشرق الأوسط

وجهة النظر السائدة في الغرب، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، أن "توازن القوى" هو الضمانة الرئيسية للأمن في اقليم الشرق الاوسط، لذا ميزت سياسة فارض التوازن من وراء البحار المقاربة الامريكية منذ الانسحاب البريطاني، لحماية المصالح الامريكية النفط، امن اسرائيل والدفاع عن دول الخليج، عبر استراتيجية الموازنة، الاحتواء، او الردع..(Miller2004,pp.246-248)

لذا فترة الحرب الباردة عرف الشرق الاوسط استراتيجية التحالفات والتحالفات المضادة التي يقدرها ستيفن والت في دراسته حول الشرق الاوسط بـ 36 تحالف، مجموع الدول التي شكلتها 86 دولة ما بين الفترتين: 1955-1979 (walt1987 , pp.287-288). بعد نهاية الحرب الباردة عرف الشرق الاوسط قوة مهيمنة من خلال التدخل العسكري الامريكي في العراق2003، هذا الوضع افضى عن محورين، الوضع القائم(دول الخليج، اسرائيل، مصر، تركيا)، ومحور التغيير (ايران، العراق، سوريا)

على الرغم من عدم اتسام اقليم الشرق الاوسط بالفوضى المطلقة الا ان سمته التوتر وانعدام الاستقرار، وهو ما ولّد سباق تسلح إقليمي ادى إلى بزوغ مخاطر وتهديدات عديدة زادت من حدّة التوترات الإقليمية الموجودة سلفًا. لكن بعد خروج الجيش الامريكي من العراق في اطار استراتيجية اوباما الجديدة الارتكاز الاسيوي، دخل الاقليم مرحلة اختلال التوازن، هذا التحول كان موازيا لتغيير بنيوي في المنطقة زاد من حدة المأزق الامني الاقليمي، خصوصا ان هذا الفراغ الاستراتيجي شهد انحسار ادوار ثلاث قوى محورية العراق، مصر وسوريا مما نتج عنه فراغ في القوة الاقليمية شجع على زيادة ادوار السعودية، ايران وتركيا.

جدول مقارنة بين قدرات القوى الاقليمية في الشرق الاوسط

	عدد السكان	دخل الخام	ميزانية الدفاع	القوات البرية	دبابات	سلاح الجو	قطع بحرية
تركيا	79,414,269	$ 718.2	$ 18,185.	10,500	778	700	94
إيران	81,824,270	$ 425.3	$ 6,300	45,000	658	79	98
الإسرائيل	8,049,314	$ 296	$ 15,600	60,000	170	81	65
السعودية	27,752,316	$ 646	$ 56,725	35,000	210	22	55
مصر	88,487,396	$ 330.8	$ 4,400	70,000	624	133	19
االعراق	37,056,169	$ 168.6	$ 6,055	72,000	97	60	60

المصدر: www.globalforcepower.com

عند النظر الى ميزان القوى على المدى القصير يعكس توزيع القوة العسكرية التي تمتلكها جميع القوى الكبرى في الاقليم وفق الجدول، من حيث تكنولوجيا وحداثة الاسلحة، لا تشكل ايران اختلالا للتوازن، غير ان كثافة التسلح في المنطقة والتي يعكسها البرنامج النووي الايراني، تركيا عضو في الناتو وهي اكبر قوة عسكرية، اظافة الى اسرائيل قوة نووية بينما تمثل السعودية اكبر برنامج تسليحي في المنطقة، تعتبر هذه الطموحات مؤشر اخر للتنافس الامني في المنطقة. فحسب Jervis ان القوة العسكرية عند اية نقطة على الزمن يمكن تصنيفها على انها تؤيد اما الهجوم او الدفاع، ولما يكون الهجوم سهلا تصبح معضلة الأمن أكثر حدة، سباقات التسلح تصبح أكثر كثافة، وتصبح الحرب أكثر احتمالا (ميرشايمر2012، ص. 26) وهو ما يعكس حدة المعضلة الامنية للشرق الاوسط.

أما على المدى الطويل يرى ميرشايمر ان القوة الكامنة ثروة الدولة + اجمالي السكان هي التي تقرر التوازن في المستقبل (ليتل2010، ص. 262)، لذا تمثل ايران القوة الصاعدة في المنطقة بعد فك الحصار الدولي ونهاية العقوبات الاقتصادية، من المنتظر ان يتحول نموها الاقتصادي الى قوة عسكرية في المستقبل مما يسبب تغيرا في توازن القوى.

شرق أوسط ما بعد أمريكا:

وفقا لمنطق توازن القوى يمكن تشبيه النظام الاقليمي الحالي للشرق الاوسط بنظام متعدد الأقطاب مثل الذي عرفته اوروبا قبل 1945،، المنطقة تعرف اصطفاف كل من السعودية، تركيا، اسرائيل في مواجهة قوة طموحة وهي ايران مثلت لها الظروف الجيوسياسية المواتية فرصة لتوسيع نفوذها .في أفغانستان والعراق، اذ استخدمت القوة الناعمة لتحريك الحلفاء وتشكيل النتائج السياسية، والقوة الصلبة في دعمها للجماعات المسلحة، خاصة بعد الوصول الى اتفاق بشان الملف النووي مع القوى الدولية 5+1.

الدور الذي تسعى ايران للاضطلاع به في الشرق الاوسط محكوم بعاملين، توقعات الدول الاقليمية الاخرى، اما الثاني فيتعلق بالقيود التي يفرضها النظام الدولي. وبخصوص القيود البنيوية فان رفع الحصار الدولي منح ايران هامش من الحركة، اذ ترحب الولايات المتحدة بان تلعب ايران دورا اكثر فاعلية في المحافظة على الامن والاستقرار في الشرق الاوسط، في حين عودة ايران الى الساحة الاقليمية لا يمثل فقط تغيير الوضع الراهن للدول الخليجية بل اكثر من ذلك، فهي تهدد شرعية نظمها السياسية من خلال انتقادها للحكم

الملكي، كما تستهدف ايران السيطرة الاقليمية عن طريق استخدام اطراف غير رسمية مرتبطة بطهران ايديولوجيا وصولا الى تقويض المشروعية الداخلية لمنافسها الاقليميين. وبرفض ايران النظام الاقليمي الذي فرضته الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب الباردة تمثل بذلك تحديات مباشرة للسياسة الخارجية لكثير من الدول المجاورة.(كيسنجر 2015، ص.146). وعلى الجانب الآخر يساور العديد من الأطراف الفاعلة في المنطقة القلق حيال إمكانية أن يؤدي أي دفء في العلاقات بين إيران والولايات المتحدة بعد الاتفاق النووي إلى أن تقل مكانتهم لدى واشنطن. فالقوى الاقليمية تؤمن بالقول الواقعي ان الامر المهم في الساحة الدولية هو القدرات وليست النوايا (كيسنجر 2001، ص.165). وانطلاقا من هذه الرؤية جاء السلوك الهجومي للسعودية للحد من تنامي الدور الايراني وتتناقض هذه الثقة بالنفس لدى القادة السعوديين بشكل صارخ مع طموحاتها الاقليمية، فهي مقيدة بشكل كبير نظير قدراتها العسكرية. في حين تتطلع تركيا ان تكون طرفا اقليميا فعالا من خلال الملف السوري، لتعزيز نفوذها فتركيا التي يحكمها حزب اسلامي معتدل حزب العدالة والتنمية، عازمة على تعزيز علاقاتها مع إيران، وتلعب دورا ايجابيا .وتقوم استراتيجية السياسة الخارجية لتركيا التي تقوم في الغالب على التعاون مع إيران بشأن المسائل الاستراتيجية مثل أمن الطاقة، البرنامج النووي الإيراني، حل الأزمات الإقليمية، والأهم من ذلك قضية الاكراد. تركيا ترغب في علاقات التعاون مع إيران ولذلك لديها القليل من الاهتمام في هذا النوع من التوازن الاستراتيجي للقوة .على سبيل المثال، ادت تركيا دور الوسيط بين إيران والغرب بشأن قضية مبادلة اليورانيوم الإيراني من أجل إقناع كلا الجانبين للجلوس على طاولة المفاوضات.

وأخيرا، فإن إسرائيل ليست على استعداد للدخول في موازنة إيران في الوقت الحاضر وتتعلق مخاوفها الاستراتيجية الرئيسية بقضايا الأمن السياسي في بلاد الشام، بما في ذلك الصراعات مع الفلسطينيين وحزب الله وسوريا. قلقها الرئيسي الآخر هو الأنشطة النووية الإيرانية .يواجه النظام الإسرائيلي حاليا علاقات عدائية مع عدد من الدول العربية والهيئات شبه الحكومية. ففتح جبهة حرب جديدة مع إيران يمكن ان يؤدي إلى عواقب كارثية على إسرائيل والمنطقة على نطاق أوسع .الإسرائيليون يعرفون جيدا أن شن حرب ضد إيران سوف يغضب العالم الإسلامي وإجبار القوات الموالية لايران مثل حزب الله وحماس للرد ضدها. Gregory) 2015)

ان اضطلاع السعودية بلعب دور الموازن يؤكد فرضية وولتز: في النظام متعدد الاقطاب عندما تهدد دولتين او اكثر اخطار مشتركة، ليس من المؤكد انهما ستتحالفان لان الدول تميل باستمرار الى الاستفادة من جهود الدولة الاولى على خط النار، (ليتل2010، ص. 239) وهو ما يطابق ايضا قول ميرشايمر، الجغرافيا تساعد في تحديد الدول التي تمرر المسؤولية والتي يمرر اليها في نظام متعدد الاقطاب (ميرشيمر2015، ص. 343)

سوريا رقعة الشطرنج الصغرى:

كل من السعودية وايران يقوم بدور مزدوج ما بين الحفاظ على الوضع او التغيير في الاقليم وفقا لمصالحها. اذا تدعم ايران النظام في سوريا والعراق وتعمل من خلال وكلائها ما تحت الدولة حزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن على التغيير، اما السعودية فتحافظ على الوضع في البحرين وتدعم حكومة اليمنية، تسعى الى التغيير من خلال وكلائها في العراق وسوريا وو تدعم قوى 14 اذار في لبنان. (Gregory 2015)

جراء هذه الحسابات الجيوسياسة تحولت المنطقة الى ساحة صراع اقليمي سعودي / ايراني حول مناطق نفوذ. من منظور نظرية المباريات يسعى اللاعبان نحو المكاسب النسبية فهي لعبة صفرية بامتياز.

سرعان ما تحركت ايران للمحافظة على مكاسبها مع بداية احداث الأزمة السورية 2011 في الوقت نفسه واصلت والسعودية نهجها الهجومي، اذ مثلت الجغرافيا السورية اختبارا للتنافس الاقليمي بين محور الممانعة وقوى التغيير، وكون سوريا معقدة ديمغرافيا، فان الحرب الاهلية ما لبثت ان ورطت جماعات اثنية ودينية اظافية، لم تكن اي منها مستعدة استنادا الى التجربة التاريخية لان تترك مصيرها يتحدد بقرارات يتخذها الاخرون. ففي ضل فوضى المازق الامني الحاد سعى كل طرف لتنفيذ خياراته بشكل منفرد من خلال اجندة تم ضبطها من طرف القوى الاقليمية والدولية. كما تتحدّد المسبّبات الدولية لمأزق الأمن في سوريا في انخراط القوى الدولية في الصراع، كون سوريا دولة منهارة اصبحت تمثل مصدرا للإرهاب الدولي، اللاجئين، وغيرها من التهديدات العابرة للحدود، فتحول الصراع المحلي السوري الى تنافس اقليمي / دولي بفعل تداخل المحلي بالإقليمي والاقليمي بالدولي (كيسنجر 2014، ص ص، 129 -131)و هذا الوضع التنافسي يوفر اساسا منطقيا لما اطلق عليه Jervis " النموذج اللولبي " الذي يصف كيفية التفاعل بين الدول التي تسعى فقط للأمن يمكن أن يشعل المنافسة وتوتر العلاقات السياسية بينها. وقد يدخلها في دوامة من العنف.(Jervis1978)**.**

فالصراع بين الطوائف السورية مسالة بقاء وسيقرر من يفوز بالهيمنة على سوريا.اما داعميها الاقليميين الامريتعلق بمسالة قيادة اقليمية، توازن القوى، وتنافس عقدي، في حين القوى الدولية هي مسالة مصالح جيوسياسية. لهذا تداخلت كل الملفات المحلية والإقليمية والدولية في سورية وبات الحل معقداً ومركباً. هذا الواقع حول الجغرافيا السورية رقعة الشطرنج الصغرى لتوازن القوى الشرق الاوسط،

أهمية سوريا في توازن القوى:

جيوسياسيا تكمن اهمية سوريا انها همزة وصل لمد الهلال الشيعي من افغانستان، ايران، العراق، سوريا حتى جنوب لبنان، لذا استمرار الوضع القائم هو استمرار لنفوذ ايران في المنطقة وهو ما يشكل قوس محاصر للسعودية يمنعها من التمدد نحو المتوسط اظافة الى تشكل كيان شيعي في اليمن ما يجعل المملكة ودول الخليج في حالة طوق شيعي. في حين قطر سيقطع لها اي امل في مد انابيب الغاز نحو اوروبا وانشاء قاعدة طاقوية للتصدير من المتوسط.

والشيء نفسه لتركيا اذ يعزلها عن عالمها السني ويقوض اي نفوذ لها في الخليج (ينهي احلام العثمانية الجديدة)، وبحكم جوارها الجغرافي يمثل لها انهيار الدولة السورية تهديد مباشر لامنها القومي، خاصة في ضل تهديد الحركات العبر قومية بإنشاء الاكراد كيان مستقل ذاتيا، اظافة الى التهديدات العابرة للحدود داعش، اللاجئين غير ان هذه الورقة استمالتها بقوة في مفاوضاتها مع الاتحاد الاوروبي.كذلك لا تقبل انقرة والرياض ان يكون بجوارها رئيس عدو، وهي التي بادرت الى اتخاذ موقف معارض لسياسته، وفتحت اراضيها للمعارضة بشتى انواعها (تمرير السلاح، امداد بالمقاتلين،...) (كيسنجر 2014، ص ص 143 -144).

جهود القوى الاقليمية للحد من دور إيران في سياق توازن القوى الجديد خلق معضلة أمنية أخرى، خاصة في عدم قدرة كل من اطراف المعادلة الاقليمية الى احداث تقدم على جهة الميدان، جعل ميزان القوى يترنح بين اطراف المثلث، وهنا تكمن اهمية سوريا في الشرق الاوسط انها اصبحت رمانة اي هيمنة

اقليمية في ضل انهيار العراق وعدم وجود دولة قادرة او راغبة على موازنة ايران، لذا اي تحالف في المنطقة لن يهيمن اقليميا الا اذا مر عبر المحور السوري، فمن يفوز بسوريا يفوز بالشرق الاوسط.

مما لا شكّ فيه أن إيران هي الفائز الجيوسياسي في الاضطرابات التي تضرب المنطقة. فهي اللاعب الأكثر تأثيراً في الشرق الاوسط. أما جهود القوى الإقليمية الأخرى للوقوف في وجه المكاسب الإيرانية، فقد باءت جميعها بالفشل حتى الآن، سواءٌ أكان الدعم التركي والسعودي للمعارضة السورية، أو التمويل السعودي لائتلاف قوى 14 آذار في لبنان وتقديم المساعدات العسكرية للحكومة اللبنانية، أو الحملة الجوية السعودية الحالية ضد الحوثيين(Gregory 2015) .

استراتيجيات القوى الدولية في الشرق الاوسط:

اتسم دعم القوى الدولية لحلفائهم الاقليميين بالاستقطاب الثنائي الغير متكافؤ، عكس مقاربة اوباما المترددة، اعتمد بوتين التدخل في سوريا حتى في حالة نفور الدول الاخرى منه، والدخول في تحالفات مضادة contre alliance ومثل هذه الرؤية، تمثل استعادة الاتجاه التوسعي لروسيا triuphalism على الرغم من عواقب ظهور اخطار قريبة تهدد المصالح الروسية بصورة مماثلة لتلك الناتجة من تراجع دورها الاقليمي بعد نهاية الحرب الباردة.

بعد تقدم المعارضة في سوريا وبداية تغير موازين القوى لصالحها، اصبح خيار تمرير المسؤولية لإيران ليس جذابا، وعملا بمبدأ ستالين " تستطيع بسط نفوذك الى النقطة التي يمتد اليها جيشك لا غير ذلك " جاء الرد الروسي بحسم الامور من خلال تدخل مباشر حتى وان كان تحت ذرائع: استجابة لطلب دولة مستقلة تربطهما اتفاقيات دفاع استراتيجية (حليف رسمي)، وكذا الحرب على الارهاب.

أهداف روسيا في سوريا استراتيجية الى حد كبير، تتسم رؤية بوتين بالواقعية وتتماشى مع وسائل روسيا المحدودة .من خلال نشر عدد محدود من القوات الجوية الروسية فهو يريد الحفاظ على نظام الأسد ككيان سياسي ذي معنى. لأنه لا يزال وسيلة للنفوذ الروسي وجزءا من أي تسوية سياسية في المستقبل. وان كانت روسيا لا تنوي غزو سوريا، فهي تامل الى استعادة العلويين إلى السيطرة الكاملة على البلد. تعمل على هزيمة الدولة الإسلامية لمنع الجماعات اللجهادية السورية والعراقية من التوغل والانتشار في مناطقها الاسلامية في الحد الادنى. اما استراتيجيا فهي تعمل على تدعيم موقعها مقابل الولايات المتحدة، والحد من النفوذ الإيراني.(Walt2015).

مأزق امريكا يكمن في اصطدام تصورات الضرورات الامنية ونظرتها المتعلقة بتعزيز الديمقراطية.
فهي تدين الاسد إلا ان اكبر فصائل خصومه هي القاعدة والجماعات الاكثر تطرفا التي يتعين على الولايات المتحدة ان تتصدى لها. (كيسنجر2015، ص.126) استراتيجيا خيارات امريكا متناقضة، فمنذ بداية الازمة حاولت واشنطن لتحقيق سلسلة من الأهداف الصعبة وغير المتوافقة. وتقول "الأسد يجب أن يرحل"، لكنها لا تريد الجماعات الجهادية الوحيدة التي تقاتل فعلا الاسد لتحل محله .انها تريد القضاء على تنظيم الدولة داعش، ولكنها تريد أيضا التنظيمات الاسلامية مثل جبهة النصرة ان لا تنجح. لأجل ذلك تقوم بالاعتماد على المقاتلين الأكراد للمساعدة في التعامل مع الدولة الإسلامية، ولكنها تريد تركيا للمساعدة أيضا، وتركيا تعارض أي خطوات قد تؤجج نيران القومية الكردية. فالمسالة اكثر من توازن قوى، لذا الولايات المتحدة لا تحمل رؤية

واضحة تلبي مصالحها الجيوسياسية والتي يراها حلفائها التقليديين في الشرق الاوسط تتوافق مع امنها واهتماماتها.(walt2015) في حين اكتفى الاتحاد الاوروبي بفرض عقوبات اقتصادية على النظام مع لعب دور مساند في التحالف الدولي لمحاربة داعش.

فإذا نظرنا من خلال عدسة القوى العظمى نجد خياراتها واولوياتها تغيرت عن حلفائها التقليديين، بعد توسع وانتشار تنظيم داعش، لذا تعمل القوى الدولية على ادارة الازمة السورية مع الحفاظ على مصالحها الجيوسياسية، هذا الوضع يفسر سبب عدم انخراطها في اي من التحالفات الاقليمية الرسمية ويعزز فكرة انها ستتبنى استراتيجيات ذات علاقات ثنائية تحافظ من خلالها على مصالحها.

معضلة التحالف الاقليمية:

على اعتبار ان التحالف الايراني قد شكل، فان فرضية توازن القوى تقتضي ضمنا ان دولا اخرى تراقب هذا التطور، وتخشى ان تكون ضحية هذا التحالف، سوف تتحد وتشكل تحالفا مضادا، وفي هذه الحالة وبدلا من تأسيس تحالف في وجه الطامح للسيطرة، سيكون هناك تحالفان متنافسان يقيمان توازن القوى.(ليتل2010، ص.13)

نتيجة لعدم قدرة السعودية على تحقيق التوازن الذاتي مع ايران (حسب ما بينه الجدول 1)، فان احسن خياراتها ستلجأ لإقامة تحالف لفرض التوازن، وباعتبار النظام الاقليمي للشرق الاوسط هو متعدد القوى يرى سنايدر، ان في هكذا نظام معضلة الأمن في لعبة التحالفات تمر بمرحلتين، الأولى خلال عملية تشكيل التحالف الاول، حيث معضلة التحالف الأولية تتبع منطق معضلة سجين متعددة الافراد (N-person prisoner's dilemma) .كل دولة لديها خياران :البحث عن حلفاء أو الامتناع عن التحالف. اما معضلة التحالف الثانوية تنشا بقيام الحلف، فالدول المنظمة للحلف هل هي مستعدة بحزم إلى إلزام أنفسها بحماية الشريك وما مقدار دعمها للشريك في تفاعلات الصراع مع الخصم.(Snyder 1984 ,p.461).

وفق هذا المنطق يمكن تفسير غياب تحالف صلب موسع ضد ايران او ما أطلق عليه أستاذ العلوم السياسية، راندال شويلر: "اختلال في التوازن underbalancing.أي عدم قدرة الدول أو افتقارها إلى الإرادة على تشكيل نوعٍ من التحالف المضاد blocking alliances ، التي تتنبأ بظهورها نظرية توازن القوى. نتيجة لعدم قدرة او رغبة القوى الفاعلة لتحقيق نوع من نظام الأمن الجماعي فالأنظمة في المنطقة لديها مصالح وأولويات أمنية مختلفة (Gregory2015). كما يقر بذلك سنايدر من خلال حساب تكلفة التحالف، ان الانضمام للحلف هو المحصلة الأسوأ من جميع نواحي الامتناع لأن كل دولة تتكبد مخاطر وأعباء التحالف مع تحسن طفيف في امنها .(Snyder 1984, p.462)

كإستراتيجية موازية تعمد السعودية الى توظيف الايدولوجيا والمساعدات الخارجية في تشكيل تحالف عربي /سني.و باعتبار اقليم الشرق الاوسط الى جانب كونه اقليما متعددا القوى فهو متعدد الايدولوجيا،. في هذا السياق يرى ستيفن وولت أن القوى الإقليمية عادة ما تتجاهل تفضيلاتهم الأيديولوجية عندما يكون الوفاء للحلف يستلزم تكاليف كبيرة. وهو ما يكشفه السجل التاريخي لتحالفات الشرق الاوسط، فقد تم التخلي بسهولة عن التوافق الايديولوجي الأقل أهمية في سبيل القضايا الأكثر إلحاحا للأمن (walt1987,p.111)

و ما يعزز فكرة walt هو عدم قيام حلف صلب مضاد سني مقابل الشيعي، رغم المحاولات الدول السنية / العربية المصطفة. فهي لا تتشارك رؤية موحدة حول مستقبل السياسة الاقليمية، ايديولوجيا تمثل السعودية وتركيا نموذجين مختلفين من النظام السياسي وهو ما ينعكس على سياساتهما الخارجية، هناك تنافس داخل التحالف السعودي التركي على من يقوم بالريادة الاقليمية اظافة الى ما نوع السياسة الإقليمية المستقبلية.فحكومة حزب العدالة والتنمية كتيار يمثل قاطرة الاسلام السياسي المعتدل في الشرق الأوسط، تمثل جماعات الإخوان المسلمين ابرز حلفائها، وتتقاسم هذا التوجه مع قطر، في حين يمثل الاخوان جماعة ارهابية من المنظور السعودي والاماراتي. استمرا كلاهما بالضغط من خلال الاتحاد الخليجي على قطر للحد من دعمها للإخوان المسلمين بالتخطيط لسحبٍ منسّقٍ لسفرائها من الدوحة.

لذا يشكّل انتقاد اردوغان لنظام المصري حجر عثرة لأي تنسيق تركي- سعودي-مصري حول الازمة السورية بشكل خاص والفعاليات الإقليمية بشكل عام خاصة محاولة السعودية ادراج مصر في معادلة الموازنة سواء من خلال حلف عربي +تركيا او حلف سني، خاصة في الوقت الذي لازالت تنظر الامارات ومصر لتركيا بحذر (Gregory.2015.p.49-51)

من ناحية ثانية، نجاح السعودية في اقامة تحالف ذو توجه ايديولوجي لمواجهة الحوثيين في اليمن لا يحوي روح التحالف المضاد ضد ايران، هناك قراءة ثانية لهذا التحالف وحسب والت دائما، ان المساعدات الخارجية لها دور بارز في تشكيل التحالفات (walt1987,p.41) وهو ما يفسر سلوك الدول الغير خليجية المنطوية تحت التحالف: المغرب، الاردن، مصر والسودان.

توازن التهديد والتحالف المفقود:

على النقيض من فكرة توزيع القوة، يؤكد ستيفن وولت ان الدول الشرق اوسطية تهدف الى التحالفات نتيجة النوايا العدوانية اي ادراك التهديد من جيرانهم وليس استجابة للتحولات في ميزان القوى العالمي (walt1987,p.264)، بالتطبيق على نسخة سنايدر فان معضلة التحالف الاولية تكمن في الدوافع المحركة لسلوك الجهات الفاعلة: هل ايران تمثل تهديدا ام لا ؟

لذا سيكون الاطراف الساعية للتحالف ضد ايران في موقف لعبة صيد الغزال Stag Hunt. التي تتميز عن معضلة السجين امكانية التعاون بين اللاعبين والتي يمكن تمثيلها كالتالي:

الدولة B

لدولة A	تهديد مباشر	لا يوجد تهديد مباشر
تهديد مباشر	تحالف تغيير الوضع القائم 3-3	مسايرة B لـ A 4-2
لا يوجد تهديد مباشر	مسايرة A لB 2-4	تحالف غير هجومي 1-1

العوائد:

3-3: تحالف لتغيير الوضع القائم. توازن صلب، الهدف البحث عن المكاسب النسبية (لعبة صفرية)، الاستراتيجيات المتبعة: تراكم الاسلحة، تحالفات رسمية او الاثنين معا.

2-2: تحالف غير هجومي، توازن ناعم، البحث عن المكاسب المطلقة (محصلة غير صفرية)، الاستراتيجية المتبعة: تراكم الاسلحة محدود، تحالفات غير رسمية تكون ضمنية مع زيادة التفاهم الامني بين الدول المعنية بالتحالف.

2-4: مسايرة الدولة B لـ A . تختار الدولة B استراتيجية المسايرة لتحقيق مكاسب (توازن مصالح).

4- 2 مسايرة الدولة A لB . تختار الدولة Aاستراتيجية المسايرة لتحقيق مكاسب (توازن مصالح).

من هذا المنطلق ولتحديد شكل التحالف يجب مراعاة الاهتمامات الامنية لدول الاقليم وادراكاتها لشكل التهديد التي تتضمنها فرضية توازن التهديد، حيث تشكل دولة ما او حلف تهديدا (درجة التهديد التي تمثله ايران) نظرا للعوامل التالية: قوتها الشاملة، القرب الجغرافي، القوة الهجومية والنوايا العدوانية. (walt1987,p.265)، من هذا المنظور عمليا نجد ان ايران تمثل تهديدا وجوديا للسعودية واسرائيل، سواء عبر الخطاب الرسمي، او عبر استخدام اطراف غير رسمية مرتبطة بطهران ايديولوجيا في الشرق الاوسط، حتى وان تشارك اسرائيل ودول الخليج نفس الاهتمامات الا ان قيام هذا الحلف لاعتبارات ايديولوجية وحسابات داخلية سيقوض شرعية النظم الخليجية. في حين تركيا تعتبر ايران منافسا اقليميا، لاعتبارات داخلية تركيا تعمل على تقويض النفوذ الايراني في سوريا الا انها خارج التنافس في الخليج حتى وان كانت تدعم السلوك السعودي في البحرين واليمن. في حين تنظر الى محاولة انشاء كيان كردي مستقل شمال سوريا التهديد الرئيسي لأمنها القومي.

القوى الدولية تتشارك الرؤية حول تعاظم دور تنظيم داعش وتحديده الخطر الاول.كما ترحب بدور اكبر لإيران في مواجهة التنظيم في الوقت نفسه يمثل تنظيم جماعة الاخوان التحدي الامني الابرز للإمارات ومصر (Gregory2015).

على ضوء ما سبق، يتجلى لنا سبب عدم قيام توازن صلب ضد ايران (العائد 3-3)، نوعية التهديد ودرجته تختلف من دولة الى دولة وهو رأي جرفيس ان المعضلة الامنية تختلف باختلاف الزمان والمكان.

استراتيجيات القوى الاقليمية:

في ضل عدم قدرة القوى الاقليمية على تحقيق حلف موسع، تعمل بدلا من ذلك الى شراكات استراتيجية متعددة الاتجاهات بعضها مع بعض ومع غيرها من الدول، التي تبقى الاستراتيجية المفضلة خلال هذه الفترة على الاقل، لان هذا النهج يوفر اقصى قدر من المرونة الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية وادنى حد من الالتزامات من من جانب الاطراف المعنية. ففي نظام متعدد القوى يكون العدد الاجمالي للتحالفات الثنائية المحتملة هو n(n-1)/ 2، يمثل n عدد الدول في النظام. (ليتل2010، ص ص. 234-236) فاذا ادرجنا القوى الاقليمية الفاعلة التي يمكن ان تقوم بدور موازنة ثنائية ضد ايران نجد: السعودية، مصر، تركيا، اسرائيل، بتطبيق العلاقة فاننا نحصل على 6 تحالفات ثنائية يمكن تشكيلها، عمليا في الوضع الراهن نستثني تحالف السعودية/اسرائيل، تركيا/مصر. ليبقى لنا خيارات: السعودية/مصر، السعودية/تركيا، تركيا/اسرائيل،

مصر/اسرائيل استراتيجيا لا يوجد دوافع لدى مصر واسرائيل في انجاز الطموح السعودي، حتى وان كانت مصر تشارك في التحالف العربي في اليمن ضد الحوثيين فإنها لا تمانع بقاء الاسد لذا يبقى احسن خيار للسعودية هو تحالف مع تركيا.

على عكس من موقف الدولتين حول تحديد الدور الجديد لإيران في الشرق الاوسط فان قيام هذا التحالف ناتج عن اتفاق ضمني بين الطرفين شعور تركيا بالتهديدات الناجمة عن الازمة السورية، مبدئيا يتفقان على رحيل نظام الاسد المدعوم ايرانيا، وهو الموقف الذي تعزز بعد التدخل العسكري الروسي في الصراع السوري، وبسبب السلوك الروسي في سوريا (المحافظة على الوضع القائم) التي تنظر اليه السعودية وتركيا (قوة تعديلية) على انه يمثل تهديد وعدوانا على مصالحها وطموحاتها الاقليمية تتبنى قوى التعديل ضد روسيا ما يعرف بإجراءات التوازن الناعم، (paul2004,p.14)، (العائد 1-1). والذي يعني الافعال التي لا تتحدى التفوق العسكري الروسي في سوريا بصورة مباشرة مثل تزويد فصائل المعارضة بصواريخ ستينغر المضادة للطائرات، وذلك باستخدام ادوات عسكرية مثل تزويد الفصائل بأسلحة وامدادات من المقاتلين لتأخير واحباط وتقويض السياسات العسكرية الروسية في سوريا.

أما ادوات التوازن الناعم التي تستعملها السعودية وتركيا فهي: الضغط والتأثير من خلال المؤسسات الدولية الامم المتحدة ومؤتمرات جنيف، اصدقاء سوريا، منظمات حقوق الانسان، وغيرها من الترتيبات الدبلوماسية، كما تستغل الورقة الاقتصادية، خاصة في ضل زيادة تكلفة المغامرة الروسية اظافة الى استغلال حالة الوهن التي يعرفها الاقتصاد الروسي بسبب العقوبات الغربية، وارتباطه بأسعار النفط، لذلك، فإن الاستراتيجية الحالية للقوى الاقليمية هي عدم الانخراط في سلوك التوازن الصلب، ولكن في الموازنة الناعمة التي تسمح لإنشاء علاقات استراتيجية التي من خلالها يمكن أن يحدث التوازن الصلب في المستقبل.

خاتمة واستنتاجات:

الفراغ الاستراتيجي الذي يعيشه الشرق الاوسط رفع تطلعات القوى الاقليمية المتنافسة، حيث هزت المصالح الجيوسياسية نظام التحالفات والاصطفاف، واشتد معها التنافس بين القوى حول تقسيم مناطق النفوذ الجيوسياسي في المنطقة العربية عموما وسوريا على الاخص. فكل من السعودية وايران يقوم بدور مزدوج ما بين الحفاظ على الوضع او التغيير في الاقليم وفقا لمصالحها. اما تركيا الباحثة عن الريادة الاقليمية حبيسة هواجسها الامنية الناتجة عن الجوار السوري، في حين تبقى اسرائيل ومصر قوتان دون نفوذ

وباعتبار المنطقة متعددة الاقطاب، ما يجعل من الصعب على اي دولة وحدها ارساء الهيمنة على المنطقة بأكملها، وتبعا لذلك فان بنية النظام الاقليمي للشرق الاوسط هي تربة خصبة لدوام وعمق عدم اليقين بشان التحالفات الاقليمية . ولذلك فإن الاستراتيجية الحالية للقوى الاقليمية هي عدم الانخراط في سلوك التوازن الصلب، ولكن في موازنة ناعمة التي تسمح لإنشاء علاقات استراتيجية التي من خلالها يمكن أن يحدث التوازن الصلب في المستقبل.

قائمة المراجع:

1- ميرشايمر، ج. (2012). ماساة سياسة القوى العظمى.الرياض. جامعة الملك سعود.

-2 ليتل، ر. (2010). توازن القوى في العلاقات الدولية " الاستعارات والاساطير والنماذج ". بيروت: دار الكتاب العربي.

-3 كيسنجر، هـ. (2015). النظام العالمي " تاملات حول طلائع الامم ومسار التاريخ ".بيروت: دار الكتاب العربي.

4- Walt.S. (1987). The origines of alliance.london: cornell university press.

5- edited by: T. V. Paul, J. J. Wirtz, and M.Fortmann. (2004). Balance of power in 21 century , theory and practice. California: Stanford university press.

6- Snyder. G, H. (1984). The Security Dilemma in Alliance Politics. World Politics, Vol. 36, No. 4 (Jul., 1984), pp. 461-495.

7- Jervis, R.(1978). Cooperation under Security Dilemma. world politics , vol 30, No 2 (jan. , 1978) , pp.167-214.

8- Walt.S. (2015).Who Is a Better Strategist: Obama or Putin? http://foreignpolicy.com/2015/10/09/who-is-a-better-strategist-obama-or-putin/

9- Gregory, G. (2015). Why isn't there an anti-Iran alliance?. https://www.washingtonpost.com/blogs/monkey-cage/wp/2015/06/03/why-isnt-there-an-anti-iran-alliance/

10- www.globalforcepower.com